لا يحبذون النظر إليهم بشفقة ولا باستهزاء فهم بشر قادرون على الإبداع والتميز..

المكفوفون .. سلبهم الله نعمة البصر ومنحهم نعمة البصيرة!

تقرير / عادل حمران الشعيبي

قال تعالى:" إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور" حقا وعدلاً، المكفوفون الذين سلبهم الله نعمة البصر؛ لكنه لم يحرمهم نعمة البصيرة، فلم تمنعهم إعاقتهم البصرية من الاستسلام أو الخضوع لمعوقات الحياة، فكانوا بذلك شريحة مهمة في المجتمع، قادرة على الإبداع و العطاء، في كل نواحي الحياة.

كلية الآداب بجامعة عدن تحتضن 8 طلبة من المكفوفين في عدد من أقسام الكلية منها الإعلام و علم النفس و اللغة العربية و الجغرافيا وكل طالب في هذه الأقسام له حكاية مختلفة عن الآخرين تتشابه في الجوهر وتختلف في التفاصيل ، البداية كانت مع الطالب "أحمد خالد عقلان" طالب سنة أولى في قسم الصحافة والإعلام يسكن في مديرية التواهي وينطلق كل صباح إلى الكلية يطلع باص أجره مثله مثل بقية طلاب الجامعة ثم ينزل في جولة البط ويقطع ما يقارب ألفي متراً مشياً على الأقدام يساعده الكثير فقد أصبح أحمد له علاقة مع عدد كبير من المارة و الطلبة ويتميّز بذكاء خارق في حفظ الأصوات وكذلك الأسماء فبمجرد سماع أي صوت يسأل عن اسم الشخص ويحفظه للأبد .

صعوبات عدة

يعاني أحمد وغيره من المكفوفين صعوبات كبيرة داخل قاعة المحاضرة لكنه يمتلك جهاز تسجيل يشغله عند بدء المحاضرة و ينقل تسجيلاته إلى جهاز ذاكرة جواله يعيد استماعه كلما أراد ذلك ،وفي كل مرة يحاول الاستماع عدة مرات حتى يتمكن من حفظ المعلومات ورغم الصعوبات إلا أن أحمد يحلم بتحقق أحلامه ويتمنى بأن يصبح مذيعاً في المستقبل .

في ختام حديث الطالب أحمد عقلان شكر زملائه الطلبة و الطالبات على تعاونهم معه وكذلك المدرسون وعلى رأسهم الأستاذة هدى فقد ذللت له معظم الصعوبات داخل الكلية وتعاونت معه بكل شيء فلها كل الشكر و التقدير.

إما الطالب في قسم الخدمة الاجتماعية "فارس علي ناصر دهمس" فمعاناته أكثر من معاناة زملائه كونه يسكن في محافظة لحج ويتنقل للدراسة في عدن حوالي أربعة أيام من كل أسبوع ، يعاني فارس من غلاء المواصلات وضنك العيش إضافة إلى معاناته الشخصية فبعض سائقي الباصات لا يذكرون المكان الذي يحدد لهم بأن ينزلوه فيه فيمشون فيه مسافات كبيرة و يجد صعوبة بالغة في العودة وقد حدث له مثل هذه المواقف عدة مرات ، دهمس ابن لحج ملتزم دينياً ويحفظ عدة أجزاء من القرآن الكريم وعدد كبير من الأحاديث النبوية . أما داخل قاعات الدراسة يحاول الاستماع إلى كل كلمة يقولها دكتور الجامعة ويستخدم جهازه الشخصي للتسجيل و المذاكرة .

ويتمنى دهمس مِن الدولة لفت النظر إليهم لأنهم شريحة من شرائح المجتمع فلم يجدوا من الدولة إلا الخذلان وتمنى بأن يتم تطوير معهد المكفوفين ليساهم في إخراج جيل متسلح بالعلم لا تمنعه قيود الحياة أو أحكام القدر من التوقف..

الطالب "محمد سلطان فارع" الذي يدرس في قسم اللغة العربية فهو

يشعرون بأنهم شريحة مهضومة في المجتمع ويتمنون من الحكومة والمنظمات الالتفات إليهم

أكثر المكفوفين بشاشة وعطاءاً تحدث بأنه يجد تعاوناً من معظم شرائح المجتمع معهم بالإضافة إلى تعامل راقي جدا من قبل زملائه ومدرسيه وأضاف بأنه يستخدم طريقة برايد في الكتابة (وهي نمط كتابي يستخدمه المكفوفون) لكن بسبب قلة وعي المجتمع وعدم وجود متخصصين من أجل مساعدتنا في الكتابة بطريقة "برايد" نضطر إلى استخدام جهاز التسجيل أو عن طريق الوارد الناطق الذي يقرأ الحروف النصية.

سفراء الخير

يستطيعون إكمال الدراسات العليا والتعامل مع تكنولوجيات العصر عبر برامج صوتية

أما "ماجد" فشاب استثنائي بكل معاني الكلمة فهو رئيس منظمة شبابية في عدن ((سفراء الخير)) وقدمت المنظمة عدداً كبيراً من المشاريع من ضمنها تنظيف بعض الحدائق في عدن وتوزيع مساعدات إنسانية للفقراء وتقديم دورات علمية مختلفة ومنذ حوالي عامين تحولت أنشطة المنظمة كلها لصالح المكفوفين لأنها شريحة مهضومة وتعاني إهمال المجتمع وتركنا المجالات السابقة للآخرين نستطيع القول بأننا اتجهنا إلى الميدان الخالي لكي نبدع فيه وحاليا قدمت المنظمة أول دورة في الجنوب تهتم بتعليم المكفوفين استخدام الكمبيوتر و فنون التعامل معه.

وقدم ماجد رسالتين : "إحداهما إلى رجال الأعمال وأصحاب المنظمات و السلطة المحلية في عدن للالتفاف نحونا فنحن بشر قادرون على الإبداع أفضل منكم فقط نحتاج من يقف معنا ويساعدنا ويطورنا فنحن شريحة مهضومة داخل المجتمع.

والرسالة الأخرى إلى عامة الناس أو شريحة البسطاء ، نحب إخبارهم بأن المعاق إنسان سوي قادر على الحياة وقادر على الإبداع و الانتاج عاملونا كما نحن لا تنظروا لنا بنقص و لا بسخرية ولا برحمة مطلقة وكأننا غير قادرين على عمل شيء ، نحن نستطيع ونحمل بداخل قلوبنا قيماً وأحلاماً عظيمة نسعى لتحقيقها ، أحلم بأن أكون مدرساً جامعياً ."

علم النفس وتحدي الواقع..!

بدورها، الطالبة "عبير علي منصر" بلغت سن العاشرة من العمر كانت ترى بعين واحدة وبعد سن العاشرة فقدت نعمة البصر حاول أهلها معالجتها في الهند وموسكو ومصر لكن دون فائدة فالظروف الصعبة وقفت عائقاً أمام صحة عبير فخلال سبع سنوات من السفر و العلاج لم يستطع أهلها إعادة البصر إليها عادت عدن وعمرها سبعة عشر عاماً وكانت متشوقة جداً للتعليم وخلال تلك السنة حدث لعبير ما لم تتوقعه اطلاقاً ، خسرت نور حياتها وأغلى مخلوقة في عالمها خسرت أمها خلال تلك الفترة و بسبب حزنها العميق وقفت موضوع الدراسة ثلاث سنوات .

بدأت عبير الدراسة وعمرها عشرين سنة تقويم دراسي ((محو الأمية)) في معهد النور للمكفوفين في المعلا وهناك درست لمدة سنتين تقويم وبعدها تم نقلها إلى الصف الخامس ونظراً لما تتميز به من ذكاء وقدرة عالية في الحفظ و الفهم تم مساعدتها لتدرس أربعة فصول في السنة مقابل فصلين لبقية الطلبة .

أنهت تعليم الابتدائية و الأساسية وحصلت على المركز الأول في الصف التاسع على مستوى مديرية البريقة ، انتقلت مباشرة إلى الثانوية العامة في مدينة الشعب وهناك وجدت صعوبات بالغة في دراسة الثانوية فقد كانت أصعب سنة دراسية بالنسبة لعبير بسبب عدم إدراك المدرسين لطرق التعامل مع المكفوفين وعدم القدرة على فهمهم ورسبت عبير في أول فصل دراسي مما جعل عبير تقرر مغادرة تلك الثانوية ومواصلة الدراسة في ثانوية 14 أكتوبر بالمعلا وهناك استطاعت إكمال دراسة الثانوية وتخرجت بمعدل عالي واتجهت عبير مباشرة إلى كلية الآداب بجامعة عدن وتخصصت في قسم ((علم نفس)) وحين سألناها عن سبب اختيارها للقسم قالت : "من زمان وحياتي العامة والخاصة تمر في معاناة وأيضاً حياة المكفوفين أمثالي محتاجين حد يمسك بأيديهم ويحل لهم مشاكلهم لأنهم يمروا بأشياء محد (لا أحد) يحس فيها أو يتوقعها إلا شخص قلبه عليهم وقريب منهم "، وأضافت بأنها تشعر بأن علم النفس هو القسم الأقرب لشخصيتها .

وعن حياتها في الكلية تقول : "أنها عانت في البداية من بعض الدكاترة الذين كانوا ينظرون للمكفوفين ويتسائلون في أنفسهم كيف سيفهمون المحاضرات ويستوعبونها ؟وكيف سيتعاملون مع بعضهم؟ لكننا أثبتنا لهم بأننا نستطيع الإبداع و التميز فتحسنت نظرتهم إلينا والآن الحمد لله الكل متعاون معنا ، أشكر زملائي و زميلاتي فهم سندي بعد الله فأنا لا أجد في منزلنا من يساعدني ويشرح لي لكن زميلاتي يشرحون لي الدروس ويتصلون بي أو يسجلون لي المطلوب مذاكرته بأصواتهم وأحياناً يشرحنّ لي عبر الهاتف وبفضلهم صرت لا أحتاج شراء الملازم".

رسالة شكر ونداء لرجال الخير

وتتحدث عبير بفخر قائلة : "صح أني كفيفة ، لكن أقسم بالله أفتخر لأننا تحدينا الواقع وانطلقنا في الحياة"، كما عبرت عن معاناتها في التنقل بين منزلها و الكلية حيث يبعد مسافة تتجاوز عشرين كيلو فهي تسكن في مدينة الشعب وتدرس في خور مكسر وتشعر بقلق كبير في جولة كالتكس التي تربط بين مديريتي المنصورة و خور مكسر وخصوصاً إذا تأخرت عنها زميلتها بسبب هذا الوضع الصعب الذي تمر به عدن .

وفي ختام حديثها قدمت شكرها إلى زملائها و زميلاتها في كلية الآداب و طاقم التدريس بشكل عام وإلى صاحبت الفضل في حياتها الأستاذة ماجدة مديرة معهد النور للمكفوفين رغم قسوتها معنا لكن قسوتها جابت نتيجة وخلتني أعتمد على نفسي ولن أنسى أستاذي صالح النادري رئيس اتحاد المعاقين في عدن فما عمله لأجلي شيء لا يمكن تصوره كان أفضل من أب أو أخ أقول له "لولا الله ثم أنت لن نستطيع العمل أو الدراسة أو عمل أي شيء جزاك الله عني خيراً" ، موجهة رسالة موجعة للمجتمع قالت : "لا تنظروا لنا بشفقة نحن الله سلبنا نعمة البصر لكنه أعطانا نعمة البصيرة، نستطيع أن نبدع و نتميز ونمارس حياتنا مثلكم وربما أفضل من أعطاكم نعمة البصر هو من أحرمنا إياها فلا تنظروا لنا بسخرية أو شفقة".

وأما رجال الأعمال فقد حثتهم إلى النظر إلى فئة المكفوفين ومساعدتهم في توفير باص مواصلات من أجل المكفوفين وكذلك منحنا أجهزة لأب توب نحن نريد أن نتعلم لكن نجد معوقات كبيرة في طريقنا نتمنى النظر إلينا فنحن بشر و نستحق تعاونكم.

نداء لرجال الخير بتوفير باص مواصلات وأدوات مساعدة لتسهيل الدراسة لهم